

ما استدرِك على سيبويه في درسه المخرج

أ. د. أحمد محمد قدور^(*)

١- تمهيد:

عرض سيبويه في مطلع باب الإدغام للمبادئ الرئيسة للدرس النظري للأصوات العربية^(١)؛ فذكر لأجل فهم الإدغام ما يُحتاج إليه من تعيين حروف العريية، أصولها وفروعها، وبيان مخارجها، وشرح مجهورها ومهموسها، وسائر صفاتها. ومع أنّ ما ورد لدى سيبويه كان من الإيجاز بمكان، إذ لم يتعدّ خمس صفحات إلا قليلاً، فإنّه كاد يستوفي مسائل الدرس النظري للأصوات، وهو يعادل ما يُدعى في الدرس الحديث بعلم الأصوات النطقي. ومعروف أنّ هذا الدرس الصّوتي كان جزءاً من النحو أو العريية، وذلك لمسيب الحاجة إليه في علوم اللغة كافة. ويمكن الاطمئنان إلى أنّ ما ذكره سيبويه في هذا الدرس هو جملة رأيه - أو ما تمثّله - ورأي شيوخه^(٢). فالصلة لا شكّ قائمة بين سيبويه في هذا الدرس، وشيخه الخليل فيما رُوي عنه أو دُوّن في كتاب العين.

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

ورد إلى مجلة المجمع بتاريخ ٨/٧/٢٠٢٠م.

(١) انظر: سيبويه، الكتاب بتحقيق عبد السلام هارون، ٤/٤٣١-٤٨٥. وقارن طبعة بولاق

(سنة ١٣١٧هـ)، ٢/٤٠٤-٤٣٠. وانظر: أحمد محمد قدور، دراسات في علم

الأصوات عند العرب، ص ١٣٩ وما يليها.

(٢) انظر: السيوطي، المزمهر، ١/٨٥، وتمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٥١.

لكنّ سيويه كان يؤلّف التّأليف المقصود، فظهر درسه مظهر النّصّ المحكم، على حين كان ما نُقل عن الخليل عامّة رواياتٍ حفظها تلاميذه، فاختلّت عبارته، وتعدّدت آراؤه، واحتاج بعضها إلى تأنٍّ وتمحيص لكي تؤخذ في الحسبان. وإذا نظرنا إلى ما اكتنف كتاب العين من مشكلات حين ظهر للناس واشتهر بأنّه للخليل، بات مقبولاً أن يُقبل النّحاة التّالون وغيرهم من طوائف العلماء على درس سيويه للوثوق به، وصدق سيويه فيما نقله عن شيخه الخليل. ولذلك قيل: إنّه ألّف كتاباً من ألف ورقة في علم الخليل^(٣).

وليس لدى القدامى إذن إضافات جدّية إلى درس سيويه الصّوتي، إذ أقبل عليه هؤلاء، وسلّموا بما جاء فيه، ما عدا مواضع قليلة كان فيها شيء من الإضافة أو الاعتراض، على أنّ ذلك لم يكن يرد لدى بعضهم إلا نادراً. لكنّ كلام سيويه لم يكن كلّ مفهوماً أو واضحاً - وربما بدا شيء منه ناقصاً - فاحتاج إلى شرح أو استدراك، شأنه في ذلك شأن سائر (الكتاب) الذي حظي بعدد وافر من التّأليف، بين شرح له، أو تعليق عليه، أو تفسير لأبياته، أو كلام على أبيته، وغير ذلك^(٤). وربما كان تعريفه الجهر والهمس من أكثر المواضع إشكالاً في درسه الصّوتي على امتداد العصور. غير أنّ المجال ما يزال قابلاً لفحص عدد آخر من المسائل لتفسيرها، وتوجيه ما جاء فيها توجيهاً جديداً، ولا سيّما درس المخارج وترتيب الحروف فيها، مع اشتهاه وقلة الاعتراض عليه. وتحسن الإشارة هنا إلى أنّ عدداً من الباحثين المحدثين من الغربيين أشاد بما جاء لدى سيويه في درسه الصّوتي، كآرتور شاده، وبرجشتراسر وجان كانتينو، وجورج مونان،

(٣) انظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٥٢.

(٤) انظر: مقدمة الكتاب لهارون، ٣٦/١.

وروبنز^(٥). فسيبويه «يستحق فيما وصل إليه من غايات علم الأصوات أن نعتبره - ما أجمع على تسميته كل من درسه من علماء الشرق والغرب - مفخرًا من أعظم مفاخر العرب»^(٦). وللدكتور كمال بشر (رحمه الله) كلمة منصفة في هذا الصدد، إذ يقول: «إن كثيرًا من نقاط الخلاف يمكن أن نغضّ النظر عنها، وأن نهملها، وذلك لشدة التقارب والتداخل بين مخارج النطق. فليس هناك في الواقع حدود فاصلة فصلًا تامًا بين بعض هذه المخارج. ومن ثمّ فإنه من الجائز أن تنسب مجموعة من الأصوات إلى مخرج معين، وينسبها باحث آخر إلى مخرج آخر قريب منه أو متّصل به ومتداخل معه»^(٧).

وسنعرض في هذا البحث الوجيز أهمّ ما استدرك على سيبويه في درسه المخارج لدى عدد من القدامى والمحدثين. ودّرُسُ المخارج في علم الأصوات هو شطر الدّراسة الصّوتية، ويمثّل مع درس الصفات - كما هو معروف - لبّ الدراسة المذكورة وأساسها النظري.

٣ - مسألة المخارج لدى القدامى:

حدّد سيبويه عدد المخارج بستة عشر مخرجًا، فجعل للحلق ثلاثة مخارج، يضمّ الأوّل منها الهمزة والهاء والألف، ويضمّ الثاني العين والحاء، ويضمّ

(٥) انظر: شاده، محاضرة علم الأصوات عند سيبويه، نشر صبيح التميمي عن الأصل المنشور عام ١٩٣١، وبرجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، نشر رمضان عبد التواب، ص ١١-١٣، وكاتينو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، ص ٦٦، وجورج موان، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة بدر الدين القاسم، ص ١٠٧، وروبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة أحمد عوض، ص ٩٧، ١٧٣.

(٦) شاده، علم الأصوات عند سيبويه، نشر صبيح التميمي في مجلة آداب الرافدين (صورة من الشبكة من غير أرقام).

(٧) كمال محمد بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص ١١٩-١٢٠. وانظر عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، ص ١٣١، ١٣٥.

الثالث الغين والخاء. ثم يلي ذلك مخرج القاف من أقصى اللسان، ويأتي مخرج الكاف بعد ذلك. وجعل للجيم والشين والياء وسط اللسان مع وسط الحنك. ثم تأتي الضاد من بين أول حافة اللسان. وترد اللام بعد ذلك من حافة اللسان، تليها النون ثم الراء، كلٌّ في مخرج. أمّا الطاء والدال والتاء فمن مخرج بين طرف اللسان وأصول الثنايا، يلي ذلك مخرج الزاي والسین والصاد، من طرف اللسان وفوق الثنايا، ثم مخرج الظاء والدال والتاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا. ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء. ومن بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو. ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة (أو الخفية)^(٨).

وليس لدى سيبويه هنا ذكر لأيّ شيخ من شيوخه، إذ لم يذكر أحدًا ممن تقدّمه، ولا سيّما شيخه الخليل الذي تكاد لا تخلو صفحة من الكتاب من ذكره. وربّما كان وراء ذلك أنّ سيبويه يقدّم خلاصة لآراءٍ متّفق عليها، فلم يجد داعيًا إلى عرض ممّا تقدّم. وينبغي أن نشير إلى أنّه من خلال ما ذكره في باب الإدغام كلّ بقي محافظًا على ترتيبه للمخارج بصورة واضحة جليّة. على أنّه زاد على ذلك زيادات لمزيد من الإيضاح والتفسير.

وجاء لدى مكّي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) في كتابه «الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة» «أنّ سيبويه وأكثر التّحويين يقولون: إنّ للحروف ستة عشر مخرّجًا، للحلق منها ثلاثة مخارج، وللهم ثلاثة عشر مخرّجًا.. وخالفهم الجرمي (ت ٢٢٥هـ) ومن تابعه، فقال: للحروف أربعة عشر مخرّجًا، للحلق ثلاثة مخارج، وللهم أحد عشر مخرّجًا، وذلك أنّه جعل اللام والنون والراء من مخرج واحد. وجعل لها سيبويه ومن تابعه ثلاثة مخارج متقاربة»^(٩).

(٨) انظر: سيبويه، الكتاب (ط. هارون)، ٤/٤٣٣-٤٣٤، وقارن بطبعة بولاق، ٢/٤٠٤-٤٣٠.

(٩) انظر: مكّي القيسي، الرعاية (ط. فرحات)، ص ٢١٧.

وذكر ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) «أن كثيراً من النّحاة والقراء ذكروا أنّ المخارج ستة عشر مخرجاً، فأسقطوا مخرج الحروف الجوفية التي هي حروف المدّ واللّين، وجعلوا مخرج الألف من أقصى الحلق، والواو من مخرج المتحركة، وكذلك الياء. وذهب قطرب (ت ٢٠٦هـ)، والجرمي، والفراء (ت ٢٠٧هـ)، وابن دريد (ت ٣٢١هـ)، وابن كيسان (ت ٢٩٩هـ) إلى أنّها أربعة عشر، فأسقطوا مخرج النّون واللام والرّاء، وجعلوها من مخرج واحد، وهو طرف اللسان. والصّحيح عندنا الأوّل لظهور ذلك في الاختيار»^(١٠)؛ ثمّ زعم «أنّها لدى الخليل بن أحمد ومكي بن أبي طالب وأبي القاسم الهذلي وأبي الحسن شريح وغيرهم سبعة عشر مخرجاً. وهذا الذي يظهر من حيث الاختيار، وهو الذي أثبتّه أبو علي بن سينا في مؤلّف أفرده في مخارج الحروف وصفاتها»^(١١).

وعلق الدكتور غانم قدوري الحمد على كلام ابن الجزري بقوله: إنّ قضية المخارج لدى الخليل، كما جاء في كتاب العين قضية خلافيّة، لأنّ الخليل لم يذكر عدداً معيّناً للمخارج. وأمّا ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) فليس لديه عدد معيّن للمخارج كذلك. وأمّا مكي القيسي فذكر نصّاً أنّها ستة عشر مخرجاً لا سبعة عشر كما ذكر ابن الجزري. وأمّا الهذلي وشريح فلا نعلم عن رأيهما شيئاً^(١٢). ويتّضح مما تقدّم أنّ هناك خلافاً في عدد المخارج بين سبعة عشر

(١٠) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر (ط. الضباع)، ١/١٩٨-١٩٩، والاختيار بالياء غلط، والصواب بالباء. ونسب هذا المذهب - كما تقدّم - إلى ابن دريد، وليس عليه دليل، بل ذكر ابن دريد أنّها ستة عشر مجرّياً، كما سيرد لاحقاً.

(١١) المصدر السابق، ١/١٩٨.

(١٢) غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص ٣٦، وانظر مكي القيسي، الرعاية، ص ١١٨.

مخرجًا، كما تقدّم في كلام ابن الجزري، وعليه سار في مقدّمته في علم التجويد^(١٣)؛ وبين ستة عشر مخرجًا، وهو مذهب سيبويه ومن تبعه من النّحاة كالزّجاجي (ت ٣٣٧هـ) والسّيرافي (ت ٣٦٨هـ) وابن جنّي (ت ٣٩٢هـ) وابن عصفور (ت ٦٦٩هـ)^(١٤). أمّا من ذهب إلى أنّها أربعة عشر مخرجًا فلم نقف له على أثر، وقد تقدّمت الإشارة إلى ذلك في كلام مكّي. وذهب بعض النّحاة وعلماء التّجويد إلى أنّها خمسة عشر مخرجًا. وقد صرّح به ابن الطّحان (ت ٥٦١هـ)^(١٥). غير أنّ بعض النّحاة ذكر ستة عشر مخرجًا عددًا، لكنّه أهمل المخرج السادس عشر، وهو للنّون الخفيّة. فالزّمخشريّ (ت ٥٣٨هـ) ذكر ستة عشر مخرجًا، ثم أهمل النّون^(١٦). ولم يشر ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) شارح كتاب الزّمخشريّ «المفصل» إلى ذلك^(١٧). وكذلك عدّ ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) المخارج في «الشّافية» ستة عشر تقريبًا، لكنّه ذكر خمسة عشر منها، وأهمل مخرج النّون. ولم يعلّق شارحه رضيّ الدّين الأسترابادي (ت ٦٨٨هـ) على ذلك^(١٨). لكنّ الخضر

(١٣) انظر: متن المقدمة الجزرية في المتون الذهبية في العلوم الإسلامية لياسر تربه جي، ص ٥ وما يليها.

(١٤) انظر: السّيرافي، شرح كتاب سيبويه، ٣٩٠-٣٩١، والزّجاجي، كتاب الجمل، ص ٤١٠-٤١١، وابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب (ط. هنداوي)، ٤٦/١-٤٨، وابن عصفور، الممتع في التصريف، ٦٦٧-٦٦٨.

(١٥) انظر: ابن الطّحان، مرشد القارئ إلى معالم المقارئ (ط. الضامن)، ص ٣٠-٣٢. وذكر تمام حسان أنّ المخارج لدى سيبويه خمسة عشر مخرجًا بإسقاط مخرج النّون الخفية أو الخفيفة. انظر كتابه اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٥٧-٥٨.

(١٦) انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ١٢٦/١٠، ١٢٣.

(١٧) انظر: المصدر السابق، ١٢٦/١٠.

(١٨) انظر: الأسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب، ٢٥٠/٣ وما يليها.

اليزدي (كان حيًّا سنة ٧٢٠هـ) أحد شراح الشافية أشار نصًّا إلى أن المصنّف قد ذكر أن المخارج ستة عشر تقريبًا، ولم يذكر إلا خمسة عشر، كما سلف، والمخرج السادس عشر: الخيشوم، وهو للتون الخفيّة، وهكذا لم يذكر الزّمخشري السادس عشر بعد أن ذكر أنها ستة عشر^(١٩).

ونقل اليزدي عن أحد الشّراح قوله: «ذُكِرَ الحروفُ التسعة والعشرون في المخارج الخمسة عشر المذكورة، فلم يبقَ شيءٌ حتّى يكون له المخرج السادس عشر»، أي: إنّ المصنّف ذكر مخرج التّون فيما تقدم، فلا حاجة إلى جعل المخرج السادس عشر للتّون الخفيّة. على أن الخضر اليزدي يردّ على ذلك بقوله: «لأنّ مخرجها وإن كان متفرّعًا، إلاّ أنّه من غاية الضّرورة صار كأنّه أصلي لا بدّ عنه عند جمهور أرباب اللغة المرضيّة من العرب»^(٢٠). وعلّق الأسترابادي على بعض ما اعترض عليه الفراء من ترتيب سيبويه بقوله: «وأحسن الأقوال ما ذكره سيبويه، وعليه العلماء بعده»^(٢١).

ويبقى أمران لا بدّ من الإشارة إليهما، وهما: أولاً أنّ سيبويه لم يعرض لأيّ قسمة للحروف العربيّة بين صحاح «صوامت»، وعلل «صوائت» على نحو ما تقدّم لدى الخليل في مقدمة كتاب العين^(٢٢)؛ فالحروف جمعت كلّها في هذا التّرتيب من غير إشارة ثمّ إلى اختلاف حالات الواو والياء بين

(١٩) انظر: الخضر اليزدي، شرح شافية ابن الحاجب (ط. العثمان)، ٢/ ٩٨٨-٩٨٩. وذكر عبد البديع النيرباني أن أكثر أصحاب كتب الاحتجاج للقراءات على أن المخارج ستة عشر مخرجًا مماثلة لسيبويه، على حين أن بعضهم أهمل النون الخفية. انظر: النيرباني، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، ص ٥٥، ٥٩.

(٢٠) الخضر اليزدي، ١/ ٩٨٩-٩٩٠.

(٢١) الأسترابادي، شرح الشافية، ٣/ ٢٥٤، وقارن بشرح السيرافي، ٥/ ٣٩١-٣٩٢.

(٢٢) انظر: الخليل، كتاب العين (ط. المخزومي والسامرائي)، ١/ ٥٧، وتهذيب اللغة للأزهري، ١/ ٤٨، ٥٠.

أن تكونا حرفي مدّ ولين، أو تكونا أقرب إلى الصّحاح إذا تحرّكتا أو سكتتا بعد فتح، وهو ما أشار إليه الخليل بدءاً، ومرّ به سيبويه فيما تقدّم من كتابه^(٢٣). وثانياً أنّ هناك رواية عن طريق الأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة ت ٢١٥هـ) ذكر فيها الخليل - كما جاء في كتاب «تذكرة النّحاة» - أنّ الحروف العربيّة ثمانية وعشرون أصلاً، ولها ستة عشر حيّزاً، والحيّز هنا لا معنى له إلا المخرج، على أنّه يستعمل مصطلحات متعدّدة كالمجاري والمبادي والمدارج والمخارج والمواضع، والمتدرّج والمدرّجة والمحلّ والمبدأ والجريان^(٢٤).

أقول: إذا اطماننا إلى صحة الرّواية فربّما كان ترتيب سيبويه يمتّ إلى هذا الأصل، ولا سيّما أنّه جاء عن أحد أقرانه وملازميه، وهو الأخفش الأوسط، على أنّ الأمر يحتاج إلى مزيد من التّحقّق ليس متيسّراً الآن. وذكر ابن دريد أنّ «قوماً من النّحويين ذهبوا إلى أنّ هذه التسعة والعشرين حرفاً لها ستة عشر مجرى»، ثم عدّها مخالفاً سيبويه في الكثير من المواضع من غير أن يذكره، أو يذكر الخليل^(٢٥).

ويُلحق بهذا الموضوع الاختلاف في جعل اللام والنّون والرّاء من مخرج واحد، أو من مخارج ثلاثة متتالية، لأنّ ذلك أحد أسباب التّباين في عدد المخارج. وذكر مكّي القيسي - كما تقدّم - مذهب الجرمي ومن تابعه في جعل اللام والنّون والرّاء من مخرج واحد خلافاً لسيبويه ومن تابعه. لكنّ مكّيّاً

(٢٣) انظر: تهذيب اللغة (عن الخليل) ١/ ٥٢، وانظر: سيبويه، الكتاب، ٣/ ٣٥٦، ٤/ ١٨٤،

١٩٣، ٣٥٦. وانظر وصفه للألف والواو والياء، وهي حروف مدّ ولين، ٤/ ١٧٦،

وأشار حين عرض للصفات لبعض ما يتصل بها وما تتصف به. انظر: ٤/ ٤٣٥-٤٣٦.

(٢٤) انظر: أبا حيان الأندلسي، تذكرة النّحاة، ص ٢٦-٣٠.

(٢٥) ابن دريد، جمهرة اللغة، ١/ ٤٥-٤٦.

ذكر أنّ ابن كيسان له قول يؤيد سيبويه في جعل هذه الحروف من مخارج متعدّدة، «لأنّ التّون أدخل في اللسان من الرّاء، وفي الرّاء تكرير ليس في النّون، وارتعاد طرف اللسان بالرّاء لتكريرها مخالف لمخرج النّون، فهما مخرجان متقاربان. واللام مائلة إلى حافة اللسان عن موضع النّون، تنحرف عن الصّاحك والنّاب والرّباعية حتى تخالط الثّنايا، فهذا مخرج ثالث»^(٢٦).

والكلام هنا واضح في أنّ ابن كيسان يحتجّ لقول سيبويه. ويتساءل ابن كيسان عن قول مخالف، فإنّ قال قائل: «المخرج واحد، ولكنّ الزيادة التي في الرّاء واللام والنّون كالزيادة التي في النّون من الغنة الخارجة من الخياشيم (أي: إنّ الفروق بين تلك الحروف هي من باب الصّفات التي لا تؤثر في المخارج). واختلاف هذا المخرج (أي: مخرج هذه الحروف عند من ادعى أنّه مخرج واحد) كاختلاف المخرج الذي فوقه من وسط اللسان، وهو مخرج الشّين والجيم والياء. فينبغي أن يقال: هذه ثلاثة مخارج أيضًا (بالنّظر إلى صفاتها المختلفة)، قيل له: ابتداء الشّين والجيم والياء من مخرج واحد، وإنّما اختلفت هي في أنفسها باستطالة الشّين وانبساط الجيم ومدّ الياء، كما أنّ الدّال والطّاء والتّاء من مخرج واحد، وهي مختلفات في أنفسها للإطباق الذي في الطّاء، والجهر الذي في الدّال، والهمس الذي في التّاء»^(٢٧). فالفرق واضح بين النّون والرّاء واللام، إذ هي من مخارج متقاربة، ولا يمكن عدّها من باب المجموعتين التّاليتين، وهما مجموعة الشّين والجيم والياء، ومجموعة الدّال والطّاء والتّاء، لأنّ كلّاً منهما له مخرج واحد، والاختلاف في الصّفات.

ووقف الدكتور الحمد على هذا النصّ، وذهب مذهباً غريباً في فهمه، «إذ

(٢٦) مكي القيسي، الرعاية، ص ٢١٧-٢١٨.

(٢٧) المصدر السابق، الموضوع نفسه.

رأى أنّ المقطع الأوّل من كلام ابن كيسان يؤيد مذهب سيبويه، ويحتجّ له في جعل مخارج هذه الحروف ثلاثة، لكلّ حرف مخرج. أمّا ما بعد المقطع الأوّل فإنّه، وإن كان مسوقاً لتأكيد مذهب سيبويه، فهو يصلح للاحتجاج لمذهب الفراء وقطرب والجرمي في عدّ الحروف الثلاثة من مخرج واحد. فابن كيسان في أوّل كلامه مع سيبويه، وفي آخره مع الفراء وأصحابه. وقد اختلف العلماء في تحديد موقف ابن كيسان...»^(٢٨).

والحقّ أنّ موقف ابن كيسان جليّ في الانتصار لسيبويه، ولا داعي لليّ أعناق الكلمات لاستخراج موقف غير مقصود من ابن كيسان، فالأمر واضح، وإن احتاج إلى شيء من التأنّي والتلطّف. وتشير الروايات المنقولة عن الخليل أنّ هذه الحروف لها حيّز واحد، فيه ثلاثة مخارج من مدرجة واحدة، كما جاء عن الأخفش الأوسط. وروى النضر بن شميل أنّها من ثلاثة مجارٍ، ولقرب مخارجها يبدل بعضها من بعض^(٢٩).

أمّا ابن دريد فيفهم من كلامه أنّها من ثلاثة مخارج^(٣٠). وذكر الأزهري (ت ٣٧٠هـ) عن غير الليث بن المظفر أنّ هذه الحروف لها حيّز، هو حيّز اللام، له مدرجة واحدة، فيها ثلاثة مخارج^(٣١). وتدلّ هذه النقول على أنّ جعل هذه الحروف من ثلاثة مخارج شائع فيما روي عن الخليل أو نقل عنه.

٣- المسائل المستدرّكة لدى المحدثين:

ذكر عدد من الباحثين عرباً ومستشرقين فروقاً بين درس الأصوات القديم، ولبّه درس سيبويه الذي جرى عليه معظم القدامى، وبين الدرس الحديث.

(٢٨) الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص ١٧٨.

(٢٩) انظر: أبا حيان، تذكرة النحاة، ص ٢٦-٣١.

(٣٠) انظر: ابن دريد، كتاب جمهرة اللغة، ١/ ٤٥.

(٣١) انظر: الأزهري، تهذيب اللغة، ١/ ٥٠.

ويمكن أن تُجَمَلَ الفروق بين الدرسين القديم والحديث في المسائل التالية:

١- وضع سيبويه للتون الخفية مخرجاً مستقلاً، وهو لدى المُحدثين زيادة لا معنى لها.

٢- حدّد ثلاثة مخارج للام والتون والرّاء، وهي من مخرج واحد، كما مرّ لدى بعض القدماء.

٣- عيّن مخرجاً للضاد لا ينطبق على وصفها الحديث.

٤- جعل لحروف الطاء والدال والتاء، وحروف الصاد والسين والزاي، مخرجين، وهما لدى المُحدثين من مخرج واحد.

٥- وضع الغين والخاء مع حروف الحلق قبل القاف، وهي بعدها، إمّا لهوية أو طبقيّة، كما سنرى لاحقاً.

٦- وصف الهاء والهمزة بأنهما من الحلق، والصواب هو أنّهما حنجريّان.

٧- عدّ الألف من أقصى الحلق، وهي حرف مدّ ولين (أي: صائت) ليس لها مكان مع الصّحاح (أي: الصوامت).

٨- أنقص جزءاً من وصف الواو، فهي ليست شفهيّة فقط، بل أقصى حنكيّة، وهذه الحالة هي (نصف صائت أو نصف صامت).

أمّا مسألة عدد المخارج فاختلف فيها الباحثون، واقترحوا أن تكون بين تسعة مخارج وخمسة عشر مخرجاً؛ فد(كاتبينو) ذكر تسعة مخارج بعد أن عرض ترتيب سيبويه وأطراه، وجعل التّون أسنانيّة، والرّاء واللام أدنى حنكيّة^(٣٢). وذكر سلمان العاني تسعة مخارج أيضاً جمع فيها التّون والرّاء واللام مع الدال والضاد والتّاء والطاء والزّاي والسين والصاد^(٣٣). أمّا من

(٣٢) انظر: كاتبينو، دروس في علم أصوات العربية، ص ٣٠.

(٣٣) انظر: سلمان العاني، التشكيل الصوتي للغة العربية، ص ٤٩.

ذكر أنّها من عشرة مخارج فهم أكثر من غيرهم، وأبرزهم تمام حسان ورمضان عبد التّواب ومحمد الأنطاكي ويوسف غازي وحاتم صالح الضّامن^(٣٤)، وجعل هؤلاء اللام والنون والرّاء من مخرج واحد دعي باللّثوي، ما عدا يوسف غازي الذي فصل بين اللام والنون من جهة، والرّاء من جهة أخرى^(٣٥). وجعل محمود السّعران وكمال بشر وأحمد مختار عمر المخارج أحد عشر مخرجًا، ويلاحظ أنّ السّعران جعل النون واللام سنّين، على حين جعل الرّاء لثويّة. أمّا كمال بشر ففصل أيضًا بين اللام والنون والرّاء، إذ جعل اللام والنون من المخرج الأسناني اللّثوي، على حين وضع الرّاء في المخرج اللّثوي. وجعل أحمد مختار عمر اللام والنون والرّاء من مخرج واحد، هو اللّثة مع طرف اللسان^(٣٦). وانفرد هنري فليش باقتراح خمسة عشر مخرجًا، جعل فيها النون أسنانيّة لثويّة، على حين جعل الرّاء ذولقيّة، واللام حافية^(٣٧). ويُفهم من كلام إبراهيم أنيس أنّ هذه الحروف متقاربة المخارج، وقد ذكر لها القدامى ثلاثة مخارج، وكذلك جعل بسّام بركة هذه الحروف من ثلاثة مخارج^(٣٨). على أنّ الغالب هو عدّها لثويّة^(٣٩).

(٣٤) انظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١١٧، ورمضان عبد التّواب، المدخل إلى علم اللغة، ص ٦١، ومحمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، ص ١٦٢، ويوسف غازي، مدخل إلى الألسنية، ص ١٣٤، وحاتم صالح الضّامن، فقه اللغة، ص ١٤٧.

(٣٥) انظر: يوسف غازي، مدخل إلى الألسنية، ص ١٣٤.

(٣٦) انظر: محمود السّعران، علم اللغة، ص ١٦٩-١٧١، وكمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص ١١٢-١١٣، وأحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص ٣١٣-٣١٩ (ط. عام ١٩٩١م).

(٣٧) انظر: هنري فليش، العربية الفصحى، ص ٤٠.

(٣٨) انظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٦٤-٧٥، وبسّام بركة، علم الأصوات العام، ص ١١٩-١٢٨.

(٣٩) انظر: إضافة إلى ما تقدّم، عبد الرحمن أيوب، أصوات اللغة، ص ٢٠٢-٢٠٤، ومحمد =

وهكذا يتبين أنّ أحد أسباب الاختلاف في عدد المخارج هو الاختلاف في عدد اللام والتّون والرّاء من مخرج واحد، أو من مخارج متعدّدة، وليس فيما تقدّم إجماع على أحد هذين الأمرين. ويرى عبد البديع النّيرباني أنّ القدامى «عدّوا اللام والتّون والرّاء من مخارج منفصلة، وإنّ كانت متدانية، لأنّ إدغام هذه الحروف بعضها في بعض يختلف حكمه بين الواجب والجائز والممتنع»^(٤٠). ويؤيّد ذلك أنّ سيويه ذكر في تضاعيف باب الإدغام أنّ بين اللام والرّاء قرب المخرجين، والرّاء أقرب الحروف إلى اللام وأشبهها بها فضارعتا الحرفين اللّذين يكونان من مخرج واحد. واللام والتّون قريبتا المخارج^(٤١). وهذا ما يفسّر لنا ارتباط الحديث عن مخارج الأصوات وصفاتها بالحديث عن الإدغام عند سيويه؛ إذ إنّ الاعتماد على أعضاء النطق وحدّها في تحديد المخارج غير كافٍ، لأنّ المخرج ليس «نقطة»، بل هو مساحة أو مكان قابل للالتباس أحياناً، وهذا ما يجعل الاعتماد على الجانب التّشكيلي للأصوات أمراً لا مفرّ منه، وهو ما جرى عليه القدامى^(٤٢).

وليست المسائل الأخرى على قدر واحد من الأهميّة التي رأيناها لعدد المخارج، وما يتصل بمخرج اللام والتّون والرّاء؛ فالنّون الخفيّة التي ذكرها سيويه في الفروع المستحسنة، ثمّ جعل لها مخرجاً مستقلاً مع الحروف

= علي الخولي، معجم علم الأصوات، ص ١٨٥، وغانم قدوري الحمد (نقلاً من بحث مخارج الأصوات الصامته عند الدكتور غانم قدوري الحمد لبدر فخري ميران وعلي جواد كاظم، ص ٣٣).

(٤٠) عبد البديع النيرباني، الجوانب الصوتية، ص ٦٣.

(٤١) انظر: سيويه، الكتاب، ٤ / ٤٥٢، ٤٥٧، ٤٨٤.

(٤٢) انظر: النيرباني، المرجع السابق، ص ٦٣. وانظر للمقارنة تعريف «نقطة النطق، أو مكان

النطق» في: محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، ص ٢١٨.

الأصول دون غيرها = تختلف عن النون الأخرى (المتحركة أو صحيحة السكون) نطقياً وتشكيلياً؛ فمن جهة النطق تقتصر على الغنة الخارجة من الخيشوم من دون تدخّل للسان في نطقها، ومن جهة التشكيل تختصّ هذه النون الخفية بأحكام فصل فيها التّحاة والقراء وعلماء التّجويد بما هو معروف. ومع ذلك رأى المحدثون أنّها ليست إلا صورة نطقية (ألفون) من النون القياسية^(٤٣).

أمّا نقل مخرج الضاد إلى مخرج أسناني لثوي مع الطاء والتاء والدال والسين والضاد والزاي في الدرس الحديث خلافاً لسيبويه فسببه أنّ وصف الضاد حديثاً يختلف عن وصفها قديماً، إذ ربما كانت الضاد (الحديثة) متطورة عن الأخرى القديمة التي ينطبق عليها وصف سيبويه. فالمخرج الجديد هو لهذه الضاد الحديثة، وليس للقديمة، فلا يُنسبُ عندئذ خطأ إلى سيبويه في هذا الصدد^(٤٤).

وجعل الدرس الحديث، كما تقدّم، الطاء والدال والتاء مع السين والضاد والزاي في مخرج واحد، ولم يعتدّ بالفرق بينهما، كما فعل سيبويه في ترتيبه. ويبدو أنّ لحكم الإدغام أثرًا في هذا الفرق، إذ ذكر سيبويه في باب الإدغام أنّ الضاد والسين والزاي لا يدغمن في الطاء والدال والتاء، مع أنّه ذكر أنّ «الطاء

(٤٣) انظر: كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص ١١٧، وغانم الحمد، (نقلًا عن بحث مخارج الأصوات الصامتة عند الدكتور غانم قدوري الحمد، ص ٥٢)، وقارن بكتابي، دراسات في علم الأصوات عند العرب، ص ١٤٦.

(٤٤) انظر: برجستراسر، التطور النحوي، ص ١٨-١٩، والأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، ص ٤٨-٦١، وعلم اللغة العام، الأصوات لكمال بشر، ص ١٢١، ومناهج البحث في اللغة لتمام حسان، ص ١٢٠-١٢١ والدراسات الصوتية عند علماء التجويد لغانم الحمد، ص ٢٦٥-٢٨١، والمدخل إلى علم اللغة لرمضان عبد التواب، ص ٦٢-٧٤، والوجيز في فقه اللغة لمحمد الأنطاكي، ص ١٨٥، والجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج بالقراءات لعبد البديع النيرباني، ص ٦١.

والدال والتاء قريبة المخارج من الصاد والسين والزاي»^(٤٥).
 ووصف سيبويه الهاء والهمزة بأنهما حلقيان، من أقصى الحلق. ويعادل
 هذا المخرج المخرج الحنجري في الترتيب الحديث.
 ويلاحظ أن سيبويه وشيخه الخليل لم يذكر الحنجرة ضمن أعضاء
 النطق، أو في وصف المخارج. ويبدو أن مفهوم الحنجرة لم يكن واضحاً
 لدى المتقدمين من النحاة، مع أن وصف الحنجرة وارد لديهم، وقد ذكرت
 «الحناجر» في القرآن مرتين^(٤٦). على أن ابن سينا سبق إلى وصف خروج
 هذين الحرفين من الحنجرة من غير أن يلقبهما بالحنجرتين^(٤٧).
 وعدّ سيبويه الألف مع الهاء والهمزة في مخرج واحد، هو أقصى
 الحلق، كما تقدّم، فجمع بين الألف، وهي من العلل (الصوائت)، وبين
 الهمزة والهاء، وهما من الصّحاح (الصّوامت). ويرى الدكتور كمال بشر
 «أن موضوع الهمزة والألف في العربية يشكّل صعوبة ظاهرة في الدرس
 اللغوي عندهم، وقد خلط العلماء بينهما خلطاً واضحاً، وأتوا منهما
 بمناقشات تتسم بالغموض وعدم الإدراك الحقيقي لطبيعة هذين الصّوتين»،
 مع أنه ينسب إلى ابن جنّي معرفة الفرق بين هذه الحروف (الألف والواو
 والياء) بوصفها حركات، وبين الأصوات الصّامتة^(٤٨).

(٤٥) انظر: سيبويه، الكتاب، ٤/ ٤٦٤، ٤٦٢-٤٦٣، وقارن بتمام حسان، مناهج البحث في

اللغة، ص ١١٠-١١٧، وكمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص ١٢١.

(٤٦) انظر: كتابي، مبادئ اللسانيات (ط. عام ١٩٩٦م)، ص ٤٦، والآيتان اللتان وردت فيهما

كلمة «الحناجر» هما الأحزاب: الآية ١٠، وغافر: الآية ١٨.

(٤٧) انظر: ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، ص ٧٢، وقارن بكمال بشر، في علم

اللغة العام، الأصوات، ص ١٥٧.

(٤٨) كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص ١٢٣.

وكان الدكتور إبراهيم أنيس سبق إلى هذا الموضوع، إذ أخذ على سيبويه عدّه الألف من أقصى الحلق مع الهمزة والهاء، وفسّر ذلك تفسيراً غريباً ذهب فيه إلى أنّ سيبويه «ربّما أراد بكلمة «الألف» تفسير المقصود من كلمة «الهمزة» التي فيما يبدو كانت مصطلحاً صوتياً غير مألوف في أيامه، أو حديث العهد بين الدارسين، فأراد توضيحه بذكر مرادف له أكثر شهرة وألفة، وهو كلمة «الألف»^(٤٩). ولم يرض عدد من الدارسين هذا الاعتذار، لأنّه من السّداجة أن ننسب إلى سيبويه هذا الأمر، وهو صاحب قدرة عقليّة ومعرفة عميقة^(٥٠). أمّا أنّ مصطلح (الهمزة) لم يكن معروفاً في عصر سيبويه فتدحضه أقوال الخليل في كتاب العين، وما روي عنه في كتب أخرى. فالخليل يذكر «الألف» في أوّل ترتيب الحروف، ويريد به الهمزة، بدلالة السياق، لكنه يصرّح بالمصطلحين معاً بعد ذلك، فيقول عن الأحرف الجوف: إنّها «الواو والياء والألف اللينة والهمزة»، ويقول أيضاً: «وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، فإذا رُفّه عنها لانت، فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح»^(٥١).

ويصف الخليل هذه الأحرف بأنّها معتلة، وهي «أربعة أحرف: الهمزة والألف اللينة والياء والواو»^(٥٢). وكيف يستقيم كلام الدكتور أنيس، وقد ذكر سيبويه ومن تقدّمه حين عدّوا الحروف الأصول: الهمزة والألف معاً، إشعاراً باستقلال كلّ منهما عن الأخرى، والأمر واضح في هذا المجال؟ والذي نراه

(٤٩) انظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ١١٦.

(٥٠) انظر: كمال بشر، المرجع السابق، ص ١٢٣، والنيرباني، الجوانب الصوتية، ص ٦٠.

(٥١) الخليل، كتاب العين، ١/ ٥٢، ٥٧، وقارن بتهديب اللغة، ١/ ٤٩، ٥١.

(٥٢) انظر: الأزهرى، تهذيب اللغة (عن الخليل)، ١/ ٥١، وقارن بجمهرة اللغة لابن دريد،

١/ ٤٥، إذ يذكر «أن أقصى الحروف الهاء، وهي أخت الهمزة والألف».

هنا أن وراء الجمع بين الألف والهمزة، وجعلهما في مخرج واحد، سبباً تشكيليّاً يرجع إلى خصائص كلام العرب، إذ كثر تصرّف العرب بالهمز مع حروف العلل إبدالاً وإعلاّلاً ونحو ذلك؛ ولأجل ذلك جعل النّحاة للهمز أحكاماً خاصة. وكان من هذا النحو التشابه بين الهمزة والألف، لأنّ كل واحدة منهما تنقلب إلى صاحبتهما، والأمثلة على ذلك ماثورة في مصادر العربية المعروفة^(٥٣). وأمّا من جهة النطق، فإنّ سيويه شرح خصائص الألف مفردة، كما شرحها مجموعة مع الواو والياء شرحاً ينبىء باستقلال كلّ منها، واختلافها عن الهمزة^(٥٤).

وقريب من هذه المسألة ما ذهب إليه بعض المحدثين من أن هناك نقصاً في وصف مخرج الواو الصّحيحة (نصف الصّامتة)، لأنّ مخرج هذه الواو ليس الشفتين كما ورد لدى القدامى، بل هو في الحقيقة من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك، غير أنّ الشفتين - وهما عضو بارز - تستديران حين النطق به^(٥٥).

(٥٣) انظر: سيويه، الكتاب، ٣/ ٥٤١-٥٥٦. ويقول سيويه في هذا الصدد: «ليس حرف أقرب إلى الهمزة من الألف، وهي إحدى الثلاث. والواو والياء شبيهة بها أيضاً مع شركتها أقرب الحروف منها». وفي الحاشية قول السيرافي: «يعني بذلك أن الألف هي شبيهة بالهمزة، والواو والياء أيضاً شبيهة بالهمزة..». انظر: الكتاب، ٣/ ٥٤٤-٥٤٥، والحاشية رقم (١) من صفحة ٥٤٥. وانظر ٣/ ٥٥٣. وانظر: مازن المبارك، مقالات في العربية، ص ١١٧ وما يليها.

(٥٤) انظر: السابق، ٤/ ١٧٦، ٤٣٥-٤٣٦. ويقول سيويه: إنّ «الألف ليس منها علاج على اللسان والشفة ولا تحرك أبداً، فإنما هي بمنزلة النفس» انظر: ٤/ ٣٣٦؛ وهي «ميتة لا يدخلها جرّ ولا رفع ولا نصب. وهذه الألف أضعف تذهب مع كل حرف ساكن» انظر: ٣/ ٣٥٦؛ وهي «لا تعيّر على كل حال، لأنها إن حُرّكت صارت غير ألف، والواو والياء تحركان ولا تعيران». انظر: ٣/ ٥٤٨. وأمّا الهمزة فهي نبرة في الصدر تخرّج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجاً، فتقلّ عليهم ذلك، لأنه كالتّهوّع. انظر: ٣/ ٥٤٨.

(٥٥) انظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٤٣، وكمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص ١٢٠، وقارن بمحمود السعران، علم اللغة، ص ١٨٠.

أقول: سبق أن ذكرنا أن سيبويه استوفى وصف الواو والياء والألف، وإن لم يميّز هنا بين حالاتها بما يدلّ على معرفته بمخرج هذه الحروف وصفاتها. ومع أن بعض المحدثين أضاف إلى وصف الواو (نصف الصّامته) أنها حنكيّة قصيّة، فإن آخرين منهم من علماء الأصوات اتفقوا مع القدامى في عدّ الواو شفويّة^(٥٦).

وأثار بعض المحدثين مسألة وضع الغين والخاء قبل القاف - في ترتيب سيبويه - في مخرج هو أدنى الحلق إلى الفم. فالصّحيح عند هؤلاء هو وضعهما بعد القاف في مخرج جديد دُعِيَ بالطبقي، أو (الأقصى حنكي)^(٥٧). ووَضِعُ هذين الحرفين قبل القاف واردة لدى الخليل عن طريق روايات متعدّدة تجعلهما حلقين كذلك^(٥٨). وذكر سيبويه في تضاعيف باب الإدغام أن «مخرج الغين والخاء هو أدنى المخارج من مخارج الحلق إلى اللسان.. وبعض العرب يجري الغين والخاء مُجْرَى القاف، وهما بمنزلة القاف.. وقربُهما من الفم كقرب القاف من الحلق»^(٥٩). وهما لدى ابن جنّي «مما فوق ذلك - المخرج الثّاني من مخارج الحلق - مع أوّل الفم»^(٦٠). وبنى القدامى على هذا التقارب أحكاماً، منها جواز قلب الخاء غيناً، وإن كانت الخاء أخرج إلى الفم - فالترتيب هو الغين ثمّ الخاء - منها، لأنّهما أُجْرِيَا مجرى حروف

(٥٦) انظر: كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص ١٢١. وكلام الدكتور بشر يتجه إلى

ابن جنّي دائماً، مع أنه ذكر أن الأصل هو لسبويه. انظر: ص ١١٤.

(٥٧) انظر: كمال بشر، في علم اللغة العام، الأصوات، ص ١٢١، ١٣٩، ١٥٧.

(٥٨) انظر: الخليل، كتاب العين، ١/ ٤٧ وما يليها، وقارن بكتابي: أصالة علم الأصوات عند

الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، ص ٩٧-١٢٠.

(٥٩) سيبويه، الكتاب، ٤/ ٤٥١، ٤٥٤، ٤٨٠.

(٦٠) انظر: ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ١/ ٤٥-٤٨، والخصائص، ١/ ٣٦٥-٣٦٦، ٢/ ٣٣٦.

الفم، لا مجرى حروف الحلق التي لا يقرب الأخرج منها إلى الأذخلة. فالمخرج الأقرب إلى الفم جارٍ مجرى الفم بخلاف الأبعد^(٦١).

ومن هذه الأحكام جواز إخفاء التّون الساكنة عندهما لقربهما من حروف الفم، مع بقاء الحكم الأصلي، وهو الإظهار^(٦٢). وينسب هذا الحكم إلى الخليل، من رواية للأخفش الأوسط^(٦٣). وإلى الإخفاء ذهب بعض القراء، على أنّ أكثرهم على الإظهار^(٦٤).

ووصف سيبويه هذين الحرفين بالاستعلاء، والحروف المستعلية تتجه إلى الحنك الأعلى، على أنّ المعترف في الاستعلاء أقصى اللسان إلى جهة الحنك الأعلى سواء استعلى معه بقية اللسان أم لا^(٦٥). ولم يكن هذا الوصف ليسوع لهذين الحرفين لولا احتساب شيء من أقصى اللسان يتجه إلى الحنك الأعلى، ولو أنّهما كانا حلقين خالصين لما كان هناك هذا النحو من الاستعلاء. ويدلّ هذا الكلام كلّ على فهم القدامى لقرب هذين الحرفين من حروف الفم قرباً يعطيها شيئاً من أحكامها. والأمر مستفيض في مصادرنا على اختلاف جهاتها في علوم اللغة والتجويد والقراءات.

وذهب المحدثون في تعيين مخرج الغين والخاء مذاهب شتى، لكن أكثرها شيوعاً هو الذي يجعلهما طبقين يشتركان مع الكاف في هذا المخرج المحدث. وهما في الترتيب الجديد يليان القاف باتجاه الفم، وهو عكس ما جاء لدى

(٦١) انظر: ابن عصفور، الممتع، ٦٨٣/٢-٦٨٤ والأستراباذي، شرح الشافية، ٢٧٣/٣، والخضر اليزدي، شرح الشافية، ١٠٢٠-١٠٢٢.

(٦٢) انظر: سيبويه، الكتاب، ٤/٤٥٤، وابن عصفور، الممتع، ٦٩٩/٢-٧٠٠.

(٦٣) انظر: أبا حيان، تذكرة النحاة، ص ٢٩.

(٦٤) انظر: غانم الحمد، الدراسات الصوتية، ص ١٩٩.

(٦٥) انظر: سيبويه، الكتاب، ١٢٨-١٢٩، والدراسات الصوتية للحمد، ص ٢٩١-٢٩٢.

سيبويه ومن تبعه^(٦٦). ووَصَفَ بعض هؤلاء المخرج الجديد بأنه حنكي - قصي، أو أنّهما يخرجان من أقصى الحنك، أو من مؤخرة سقف الحنك^(٦٧). لكن الأمر ليس مطّردًا، فتّمَام حَسَان يرجع عن كلامه في أنّهما طبقيان، ويضع الغين والخاء في المخرج الحلقومي (اللّهوي) مع القاف. أمّا المخرج الطّبقي فبقِيَ للكاف وحدها^(٦٨). وهكذا يبدو أنّ معظم المحدثين من علماء الأصوات متردّدون بين وضعهما في المخرج اللّهوي، أو الطّبقي، أو الجمع بينهما، والتّفريق بين سياقات نطقية معيّنة تجعل وصفهما متعدّدًا^(٦٩).

ورأى سلمان العاني الذي درس أصوات العربيّة دراسة مخبريّة أنّ نطق الخاء «المعاصر» يجعلها صوتًا طبقيًا احتكاكيًا، أمّا الغين فلها نطقان (ألفونان) هما: لهوي يكون بجوار الضّمة والواو، والفتحة والألف. والآخر طبقي بجوار الكسرة والياء. لكنّ العاني صنّف الغين «عامّة» في جدول الأصوات ضمن المخرج اللّهوي، على حين بقيت الخاء مع الكاف في المخرج الطّبقي^(٧٠).

ويطول بنا الحديث جدًّا لو رحنا نتبع أقوال المحدثين على اختلافها في هذا الصدد، إذ لم يستقرّ الأمر بعد على رأي واحد. فتسمية هذين الحرفين ما زالت مشكلة مطروحة للتّقاش، إذ لا يمكن التّسليم بخطأ

(٦٦) انظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص ١٢٩-١٣٠.

(٦٧) انظر: محمود السعران، علم اللغة، ص ١٧٧، وقارن بغانم قدوري الحمد، «وجهة نظر جديدة في مخرج الأصوات الستة»، في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد (٧٧) لعام ٢٠١٠، ص ٣٣.

(٦٨) انظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٧٩. وسبق أن وصف في كتابه «مناهج البحث في اللغة» هذين الحرفين بأنّهما طبقيان. انظر: ص ١٢٩-١٣٠ منه.

(٦٩) انظر: بسام بركة، علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية، ص ١٢٥-١٢٦.

(٧٠) انظر: سلمان العاني، التشكيل الصوتي للغة العربية، فنولوجيا العربية، ص ٥٧-٥٨، وانظر كذلك ص ٤٩.

القدامى بعد كلّ الذي عرضناه من فهمهم لقرب هذين الحرفين من الفم، كما لا يمكن الرّكون إلى الرّأي الشائع في كونهما طبقين حتمًا، لأنّ بعض السياقات تخرج عن ذلك، ولا بدّ من احتسابها في وصف المخرج. وربّما كان جمّع هذين الحرفين مع القاف على صعيد واحد أقرب إلى الصّواب. وننتهي من هذا كلّه إلى أنّ معظم ما استدرك على سيبويه لا يعدّ من الخطأ المحض، وإنّ كان قليلًا؛ فالمسائل المثارة حديثًا يُعوزها الإجماع وتقديم الدليل القاطع. ولذلك ندعو إلى المزيد من التّروّي في هذا الصّدّد ونحوه من المسائل التي يراجع فيها درسنا العربي في ضوء الدّرس اللّساني، مع السّعي إلى الإفادة ممّا استجدّ لدى المحدثين من غير نوازع استعلاء، أو استخفاف بما أنجزه القدامى، وسبقوا به الأمام.

* * *

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

- أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، لأحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط. ثانية ٢٠٠٣ م.
- أصوات اللغة لعبدالرحمن أيّوب، مكتبة الشباب، القاهرة، ط. أولى ١٩٦٣ م.
- الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط. رابعة، ١٩٧١ م (ط. أولى ١٩٤٧ م).
- تاريخ علم اللّغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، لجورج موانان، ترجمة بدر الدين القاسم، وزارة التعليم العالي، جامعة حلب ١٩٨١ م.

- تذكرة النحاة لأبي حيان الأندلسي، تحقيق عفيف عبدالرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. أولى ١٩٨٦ م.
- التشكيل الصوتي في اللغة العربية (فونولوجيا العربية) لسلمان حسن العاني، ترجمة ياسر الملاح، ومراجعة محمد محمود غالي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط. أولى ١٩٨٣ م.
- التطور النحوي للغة العربية لبرجشتراسر، ط. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٢ م.
- تهذيب اللغة للأزهري، الجزء الأول، حققه وقدم له عبد السلام محمد هارون، راجعه محمد علي النجار، الدار القومية للطباعة (القاهرة) ١٩٦٤ م.
- جمهرة اللغة لابن دريد، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط. أولى ١٩٨٧ م.
- الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات لعبد البديع النيرباني، دار الغوثاني، دمشق، ط. أولى ٢٠٠٦ م.
- الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط. ثانية، د.ت.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد لغانم قدوري الحمد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد ١٩٨٦ م.
- دراسات في علم الأصوات عند العرب لأحمد محمد قدور، دار القلم العربي ودار الرفاعي، القاهرة وحلب، ط. أولى ٢٠١٤ م.
- دراسة الصوت اللغوي لأحمد مختار عمر، توزيع عالم الكتب، القاهرة، ط. أولى ١٩٧٦ م. (وطبعة عام ١٩٩١ م).
- دروس في علم أصوات العربية لجان كانتينو، ترجمة صالح القرماضي، الجامعة التونسية ١٩٦٦ م.

- رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا، تحقيق محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط. أولى ١٩٨٣ م.
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار المعارف، دمشق، ط. أولى ١٩٧٣ م.
- سرّ صناعة الإعراب لابن جنّي، تحقيق: حسن هندأوي. دار القلم، دمشق، ط. أولى ١٩٨٥ م.
- شرح شافية ابن الحاجب في علمي التصريف والخطّ للخضر اليزدي (أتمّه سنة ٧٢٠ للهجرة)، دراسة وتحقيق حسن أحمد العثمان، مؤسّسة الرّيّان، بيروت، ط. أولى ٢٠٠٨ م.
- شرح شافية ابن الحاجب للأستراباذي (رضيّ الدّين) مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادي، تحقيق محمد نور الحسن ومحمّد الزفزاف ومحمّد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٦-١٣٥٨ هـ.
- شرح كتاب سيبويه للسيرافي، تحقيق أحمد حسن مهدي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، ط. أولى ٢٠٠٨ م (صورة من الشابكة).
- شرح المفصّل لابن يعيش، إدارة الطّباعة المنيريّة بمصر، د. ت.
- طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط. ثانية، د. ت.
- العربية الفصحى لهنري فليش، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، ط. ثانية ١٩٨٣ م.
- علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية لبسام بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت د. ت.
- علم اللغة العام: الأصوات لكمال بشر، دار المعارف، القاهرة، ط. أولى ١٩٧٠ م.

- علم اللغة: مقدّمة للقارئ العربي لمحمود السّعران، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط. أولى ١٩٦٢م.
- فقه اللغة في الكتب العربية لعبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٩م.
- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهجرة، قم، إيران، ١٤٠٥هـ.
- الكتاب لسيبويه، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، عالم الكتب، بيروت، د.ت. و ط. بولاق سنة ١٣١٧هـ.
- اللغة العربية معناها ومبناها لتّمّام حسان، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ط. أولى ١٩٧٣م و ط. ثانية ١٩٧٩م.
- مبادئ اللسانيات، لأحمد محمّد قدّور، دار الفكر، دمشق، ط. أولى ١٩٩٦م.
- المتون الذهبية في العلوم الإسلامية لياسر يحيى تربه جي، دار إستانبولي، ط. أولى، حلب، ٢٠١٧م.
- مدخل إلى الألسنية ليوسف غازي، منشورات العالم العربي الجامعية، دمشق، ط. أولى ١٩٨٥م.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللّغوي لرمضان عبدالتوّاب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط. ثانية ١٩٨٥م.
- مرشد القارئ إلى معالم المقارئ لابن الطّحان السّماتي، تحقيق حاتم صالح الضّامن، دار البشير، عمّان، ومؤسسة الرّسالة، بيروت، ط. أولى ١٩٩٩م.
- معجم علم الأصوات لمحمد علي الخولي، ط. أولى، ١٩٨٢م.
- معجم علم اللغة النظري لمحمد علي الخولي، مكتبة لبنان، بيروت، ط. أولى ١٩٨٢م.

- مقالات في العربية لمازن المبارك، دار البشائر، دمشق، ط. أولى ١٩٩٩ م.
 - الممتع في التصريف لابن عصفور، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ط. أولى ١٩٧٠ م.
 - مناهج البحث في اللغة لتّمّام حسان، دار الثقافة بالدار البيضاء (المغرب) ١٩٧٩ م.
 - موجز تاريخ علم اللغة في الغرب لروبنز، ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت، العدد (٢٢٧) تشرين الثاني ١٩٩٧ م.
 - النشر في القراءات العشر لابن الجزري، تصحيح علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
 - الوجيز في فقه اللغة لمحمد الأنطاكي، مكتبة دار الشرق، بيروت، د.ت (ط. أولى ١٩٦٩ م).
- ثانيًا: البحوث
- «علم الأصوات عند سيوييه» لأرتور شاده، نشر صبيح التميمي، مجلة آداب الرافدين، العدد (٥٨) لعام ٢٠١٨ م.
 - مخارج الأصوات الصامتة عند الدكتور غانم قدوري الحمد، لحيدر فخري ميران وعلي جواد كاظم، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد (٢)، العدد الأول، حزيران ٢٠١٢ م.
 - «وجهة نظر جديدة في مخرج الأصوات الستة» لغانم قدوري الحمد، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد (٧٧) لعام ٢٠١٠ م.